كما سمعت لبيان الإقرار والإعتراف منهم في الآخرة بما أنكروه في الدنيا وتلك لبيان الإمتثال الذي يستدعي شكر المنعم أو لبيان الدلائل لتصرفهم عن الكفر .

ويرجع هذا القول إن أمر إطلاق الإماتة على كلتا الإماتتين ظاهر وتعقبه في الكشف بأنه لا قرينة في اللفظ تدل على خروج الإحياء الأول مع أن الإطلاق عليه أظهر والمقابلة تنادي على دخوله ويكفي في الإعتراف إثبات إحياء واحد منهما غير الأول وقيل : إنما قالوا : أحييتنا اثنتين لأنهما نوعان إحياء البعث وإحياء قبله ثم إحياء البعث قسمان إحياء في القبر وإحياء عند القيام ولم يذكر تقسيمه لأنهم كانوا منكرين لقسيمه .

وتعقب أن ذكر الإماتة الثانية التي في القبر دليل على أن التقسيم ملحوظ والمراد التعدد الشخصي لا النوعي نعم هذا يصلح تأييدا لما اختاره جار ا وروي عن جمع من السلف من أن الإحياءات وإن كانت ثلاثا إنما سكت عن الثانية لأنها داخلة في إحياءة البعث قاله صاحب الكشف ثم قال : وعلى هذا فالإماتة على مختار جار ا إماتة قبل الحياة وإماتة بعدها وطويت إماتة القبر كما طويت إحياءته ولك أن تقول إن الإماتة نوع واحد بخلاف الإحياء فروعي التعدد فيها شخصا بخلافه وذكر الإماتة الثانية لأنها منكرة عندهم كالحياتين ويجب الإعتراف بها لا للدلالة على أن التعدد في الأحياء شخصي والحق أن ذلك وجه لكن قوله تعالى : اثنتين ظاهر في المرة فلذا آثر من آثر الوجه الأول وإن كانت الإماتة فيه غير ظاهرة ذهابا إلى أن ذلك مجاز مستعمل في القرآن فتأمل .

وقال الإمام : إن أكثر العلماء احتجوا بهذه الآية في إثبات عذاب القبر وذلك أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين فإحدى الموتتين مشاهد في الدنيا فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي عقيبها موتا ثانيا وذلك يدل على حصول حياة في القبر وأطال الكلام في تحقيق ذلك والإنتصار له والمنصف يرى أن عذاب القبر ثابت بالأحاديث الصحيحة دون هذه الآية لقيام الوجه المروي عمن سمعت أولا فيها وقد قيل : إنه الوجه لكني أظن أن اختيار الزمخشري له لدسيسة اعتزالية وقال ابن زيد في الآية أريد إحياؤهم نسما عند أخذ العهد عليهم من صلب آدم ثم إماتتهم بعد ثم إحياؤهم في الدنيا ثم إماتتهم ثم إحياؤهم وهذا صريح في أن افحياءات ثلاث وقد أطلق فيه الإحياء الثالث والأغلب على الظن أنه عني به إحياء البعث وقيل : التثنية في كلامهم مثلها في قوله تعالى : فأرجع البصر كرتين مراد بها التكرير والتكثير فكأنهم قالوا : أمتنا مرة بعد مرلاة وأحييتنا مرة بعد مرة فعلمنا عظيم قدرتك وأنه لا يتعاصاها إلا عادة كما لا يتعاصاها غيرها فاعترفنا بذنوبنا التي

اقترفناها من إنكار ذلك وحينئذ فلا عليك أن تعتبر الموت في صلب آدم ثم الإحياء لأخذ العهد ثم الإماتة ثم الإحياء بنفخ الروح في الأرحام ثم الإماتة عند انقضاء الأجل في الدنيا ثم الإحياء في القبر للسؤال أو لغير ثم الإماتة فيه ثم الإحياء للبعث ولا يخفى أنه ما فيه إنما يتم لو كان المقول أمتنا إماتتين أو كرتين وأحييتنا إحياءتين أو كرتين مثلا دون ما في المنزل فإن اثنتين فيه وصف لإماتتين ولإحياءتين وهو دافع لاحتمال إرادة التكثير كما قيل في إلهين اثنين وبناء الأمر على أن العدد لا مفهوم له لا يخلو عن بحث ومن غرائب ما قيل في ذلك ما روي عن محمد بن كعب أن الكافر في الدنيا حي الجسد ميت القلب فاعتبرت الحالتان فهناك إماتة وإحياء للقلب والجسد في الدنيا ثم إماتتهم عند انقضاء الآجال ثم إحياؤهم للبعث ومثل هذا يحكى ليطلع على حاله فهل إلى خروج أي إلى نوع خروج من النار أي فهل إلى خروج سريع أو بطيء أو من مكان منها إلى آخر أو إلى الدنيا أو غيرها